

إلى متى..؟ نحن نصنع التاريخ وهم يكتبونه !

نحن نصنع التاريخ.. نحن نكتبه

(2)

البادئون بالعدوان

مسودة مشروع في كتاب يؤرخ بأحوادث الموثقت
من بدأ بالعدوان أول مرة: الشيعة أم أهل السنة؟

الدكتور

طه حامد الدليمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا لَقَوْمٌ أَبَتْ أَخْلَاقُنَا شَرْفًا أَنْ نَبْتَدِيَ بِالْأَذَى مِنْ لَيْسَ يُوذِينَا
بِيضٌ صِنَائِعُنَا سَوْدٌ وَقَائِعُنَا خُضْرٌ مَرَابِعُنَا حُمْرٌ مَوَاضِينَا



٩٩ الحمد لله رب العالمين. ملك الملوك. الحكم العدل، الذي لا تضيع عنده مثقال ذرة من مظلمة حتى يستوفى لها مستحقها (فأين تذهبون)؟

إلى ديان يوم الدين ثمضي
وعند الله تجتمعُ الخصومُ
والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. وعلى آله أصحابه وأتباعه أجمعين.
وبعد..

٩ نحن نصنع التاريخ والشعوبيون يكتبونه..

إلى متى هذه المعادلة الظالمة؟!

بدأت فكرة الكتاب منذ الأيام الأولى للاحتلال الصليبي والاستحلال المجوسي للعراق العظيم. كنت أنظر إلى بطولات العراقيين من أهل السنة، وقد تركهم الشيعة مكشوفين في العراء، يتلقون ضربات المعتدين وحيدين منفردين. ولوم اكتفوا بالوقوف على التل يتفرجون، هان الخطب، ولكنهم وقفوا بكل ثقلهم يساندون الاحتلال ضد أبناء جلدتهم، وتيجان رؤوسهم، المدافعين عن بلادهم، والمنافحين عن أعراضهم.
فكنت أنظر إلى هؤلاء فأقول:

يا لله...!!! ما أروع صنيع أهل العراق..! وما أعظم بطولاتهم..!

وأنظر إلى هؤلاء فأقول: يا لخستكم..! وغدركم..! وحقارتكم..!

وأقارن بين أفعال هؤلاء وهؤلاء فأرى المفارقة الهائلة! بل أرى السماء والأرض لا يلتقيان أبداً.

لكنني أقرأ التاريخ، وأرصد الواقع، فأجد شيعة العجم كالثعالب يحضرون إلى الميدان بعد أن يغادره الأسد بصمت، وقد ترك فريسته عظماً وفتاتاً، وجلداً متهرئاً، ليصنعوا

من هذه البقايا حكاياتهم، وينسجوا روايات بطولاتهم، ويكتبوها كما يشتهون، لا كما هي بالفعل.

إلى متى - أيها الأسد! - وأنت صامت؟ لقد ملأت بنات آوى الفضاء بالضجيج والعجيج! والولولة والتظلم. عبر عن نفسك ولو بجملة واحدة، ليعرف الناس أنك أنت صاحب الأفعال ومهندسها، وصانع الأحداث ومبدعها؟ وما هذه البنات إلا جوقة من الحرامية، سراق التاريخ.

آن الأوان لنقلب هذه المعادلة الظالمة : (نحن نصنع الأحداث والتاريخ.. والشعويون يكتبونه)! ولنحل محلها المعادلة العادلة الآتية: (نحن نصنع التاريخ.. نحن نكتبه).

إن الذي دفعني إلى كتابة هذا الموضوع التاريخي الخطير، هو معرفتي بالنفسية الشيعية المعقدة، وما ينتج عنها من آثار معوجة سيئة. تلك النفسية التي تعاني معاناة عميقة من الشعور بالاضطهاد. يؤدي بصاحبه إلى أن يكون ديدنه التشكي والتظلم - حتى وإن كان هو البادئ بالظالم - والبحث عن ضحية (ظالمة)، يلصق بها مظلمته وشكواه. وفي الوقت نفسه وجدت أهل السنة - بنفسيتهم الكبيرة - يستعيون التظلم والشكوى، ويسكتون عما يلحق بهم من ظلم وحيث وأذى. فتكون النتيجة أن المظلوم يصبح ظالماً، والظالم مظلوماً. حتى سمعت أخيراً أن أحد كبار الشعويين، ومن ساهم مساهمة فعلية في جلب المحتل إلى العراق، قد أنشأ مؤسسة في أحد بلدان أوربا من أجل الترويج لـ(مظلومية الشيعة) في بلاد الغرب، والدعوى بأن أهل السنة هم الذين ابتدأوا العدوان على الشيعة، وما يفعله الشيعة إنما هو رد فعل، ودفاع عن النفس. وهذا هو شعار المرحلة الآن، يروجون له بعد أن فضحتهم أفعالهم، ويسوق له المغفلون من أهل السنة، تحت ذريعة الوحدة الوطنية، والتصالح الاجتماعي. دون أن يشعروا بأنهم يهدرون حقوقنا التاريخية، فضلاً عن جنايتهم علينا بالخسارة على صعيد الدين والسياسة.

إن قادة التشيع الفارسي ومخترعيه جعلوا من التظلم قضيةً متبناةً، وشعاراً مرفوعاً، ومحوراً يدورون حوله، وقاعدة يستندون إليها في نشر تشيعهم، وترويج قضيتهم. قال عبد العزيز الحكيم مرة على قناة الفرات الفضائية الشعوية: (إن أهل البيت قد ظلموا، ونحن أتباع أهل البيت نريد أن نبقي في هذه المظلومية، ونشعر الجماهير بذلك ونحن معهم، وإن كنا في السلم الأول (يعني قمة السلطة)، وتستمر هذه المظلومية معنا إلى يوم

القيامة حتى نحقق بها من العدل ثمن دماء أهل البيت وأتباعهم). وكرر مثل هذا الكلام
آخرون!

وعلى هذا الموضوع بنى الشيعة مشروعهم في تبرير احتلال العراق تحت مسمى
وذريعة (تحريره) من (الطاغية الظالم)، توصلوا إلى التمكن من السيطرة عليه، وإزاحة أهل
السنة وإخراجهم من ديارهم.

كل هذا كان حاضراً في بالي منذ اللحظة الأولى؛ فكنت أسجل في دفتر مذكراتي
بعض الحوادث الأولى، وأدعو من حولي إلى أن يحدو حدوي. ولما رأيت عدم جدوى
هذه الطريقة في تحقيق هدف عظيم كهذا، أوعزت إلى اثنين أو ثلاثة من أصحابي إلى أن
يتفرغوا لهذا الأمر، ويقوموا بالسفر إلى المحافظات المختلفة، من أجل تسجيل حوادث
اعتداء السنة الأولى (2003) للاحتلال في مواقعها، وتوثيقها مباشرة من أهلها. غير أن
سفري وعدم تواجدي معهم، وسوء الوضع الأمني الذي صار يزداد يوماً بعد يوم حال
دون استيعاب تقييد الحوادث الأولى، وإتمام المهمة كما هو مطلوب.

ولكن نزولاً عند واقع الحال، ولأهمية الموضوع وخطورته، وللضرر الحاصل في
تأخيره، رأيت فيما كتب إليّ به الأصحاب من أحداث، وما سأذكره مما توصلت إليه
بنفسي الكفاية في تثبيت الفكرة، أملاً بأن أتابع تكملة الموضوع فيما بعد، داعياً الآخرين
إلى أن يولوه الاهتمام الذي يليق به. وأنا على يقين بأنهم إن فعلوا ستظهر حقائق،
ويكشف عن وثائق بالملئات والآلاف، تحق الحق، وتبطل الباطل. وتثبت جزمياً بأن
الاعتداء بدأه الشيعة، وما من فعل قام به أهل السنة إلا وهو ردة فعل دفاعاً عن النفس،
وحماية للمال والأهل والولد، وحفاظاً على الأرض والعرض، وسعياً في تحرير الوطن
من غزاة معتدين لم يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة، احتلوا بلدتهم، ودمروا كياناتهم، كان الشيعة
- إلا القليل - خير عون لهم ونصير في سبيل هذا الهدف الوضيع.

على أنه ينبغي أن أقول: لست ممن يؤمنون بالتعميم. فثمة فريق من الشيعة لم يشارك
في الاعتداء، ولم يرض به. وفي هؤلاء وأمثالهم قال تعالى: (لَيْسُوا سَوَاءً) (آل
عمران:113). لكنهم قلة قليلة. لا صوت لها، ولا تأثير على الحدث. أما ما نسمع اليوم
من استنكار من عشائر الجنوب الشيعي للنفوذ الإيراني، فهو لم يكن إلا من فترة قليلة،
وقد بولغ في تصويره وحجمه. وغالب هؤلاء ممن تضررت مصالحهم، وأجهضت

أحلامهم. فارتفعت عقيرتهم بالصياح. وفي أمثالهم نزل قوله تعالى: (وَمَنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ) (التوبة:58). واليوم يريد الشعوبيون أن ينفخوا في هذه القربة وأمثالها؛ ليكبروها ويجعلوا منها أحد مستنداتهم في عملية سرقة التاريخ وتزوير الحدث. وهذا ما لا ينبغي أن يمر أمامنا بصمت دون أن نصرخ في وجوه المزورين، ونضرب على أيدي السارقين. وكتابي هذا عبارة عن تلك الصرخة المطلوب إطلاقها؛ فقد بدأت الشعبية مشروعهم التزويري منذ أول يوم للاحتلال؛ فعلينا أن نعد العدة ونبدأ العمل قبل فوات الأوان.

السبت

2007/7/28



الفصل الأول
مقدمة تحليلية

العدوان الشيعي

٩ العقدة والعقيدة

النفسية الشيعية نفسية معبأة بالحقد على أهل السنة، والرغبة بالانتقام منهم. وعلى هذه المعاني الشاذة، والغايات الخطيرة يتربى الشيعي منذ صغره؛ فينشأ وتنشأ معه عقده، ويكبر فتكبر، حتى تنفجر متى ما وجدت الفرصة سانحة عدواناً وحشياً تجاه من لا يرى في الكون عدواً سواه.

أضف إلى ذلك أن هذه النفسية هي نفسية عدوانية في أصلها. ف(العدوانية) عقدة متأصلة فيها. ترجع هذه العقدة إلى عدة جذور عقدوية تعاني منها النفسية الشيعية. أولها (عقدة النقص) التي يتولد عنها الشعور بانعدام القيمة، والفشل في تحقيق الذات. وحتى يهرب صاحبها من أن يتوجه باللوم والعقاب إلى نفسه، يكون الحل بالبحث عن ضحية (يُسْقِط) عليها مشاعر الإدانة الذاتية والشعور بالذنب، يتهمها بما يعاني منه؛ فيكون الاعتداء عليها مبرراً مشروعاً. إنه يجارب الصورة غير المقبولة عن ذاته. ليؤكد هذه الذات عن طريق الشعور بالقدرة على إيقاع الأذى بالآخر. وهكذا يصبح العدوان جزءاً من الشخصية، ويتحول إلى عقدة. وثانيها (عقدة الاضطهاد). وبسبب (عقدة النقص) و(عقدة الاضطهاد) يتولد الشعور بالإحباط، وهو من أقوى الأسباب - كما يقرر علماء النفس - التي تنشأ عنها (العدوانية).

- الشيعي إذن عدواني بطبعه.. هذا أولاً.
- وثانياً هو يشعر - بسبب من (عقدة الاضطهاد) - أنه مظلوم، ومغتصب الحقوق، ومحارب، ومعتدى عليه، حتى لو لم يكن ثمة ظلم أو اعتداء! ولذا يجمع الشيعة على أن الظلم لحق بهم منذ أربعة عشر قرناً.
- وثالثاً هو قد حدد عدوه، وحصره بأهل السنة دون غيرهم، فهو معبأ بالحقد عليهم، والرغبة بالانتقام منهم. فلم يبق أمامه - لتنفيذ رغبته - إلا الفرصة

الساحة. وقد سنحت بمجيء المحتل، واختلال كفة التوازن في معادلة القوى.
فكان من الطبيعي أن يقوم بالاعتداء مبتدئاً، لا ردة.. وفاعلاً لا منفعلًا.
وهذا ما كنا نقوله من قبل ونحذر منه، وهو ما وقع على الأرض بالضبط، ترجمة لما
كان يعتمل في تلك النفوس المعبأة بالحق على أهل السنة إلى حد الانفجار. لقد تبين -
بما لا يحتمل الشك، ولا يقبل النقض - أنهم قد بيتوا نيتهم من زمان على أن يكونوا مع
المحتل لاقتناص الفرصة في الاستيلاء على مقدرات البلاد، وإزاحة أهل السنة، بل محوهم
من سطح الخريطة. لذا كان العدوان عليهم، وابتدأهم به شيئاً طبيعياً يتوافق وهذه النية
المبيتة، والنفسية المعقدة الحاقدة. وكل من ظن الأمر على غير هذا فهو لا يعلم عن حقيقة
النفسية الشيعية شيئاً، وليس له أدنى معرفة بما جرى ويجري في الواقع.
على العكس من ذلك كان أهل السنة.

فقد كنت أراهم - وأنا واحد منهم - في بداية الاحتلال، وقد صدمتهم الكارثة!
وخيم عليهم الدهول! يفكرون ليل نهار جاهدين كيف يكسبون الشيعة إلى جانبهم؟
إنهم يدركون حجم الكارثة ومقدار الحمل الثقيل الذي ألقي على كواهلهم. فهم
يتمنون من كل قلوبهم أن يشاركهم في حمله الآخرون، خصوصاً من يقاسمونهم العيش
على تربة وطنهم، مهما كان جنسهم ودينهم. وكم حاولت المقاومة إقناع الشيعة
بالتصدي معهم للمحتل، فلم تفلح! وجرت استدراجهم بشتى الطرق إلى ساحة المعركة
فلم تنجح! ولقد كان رأيي أن الخطر - كل الخطر - منهم، وأن المحتل الأمريكي أهون
وأقل خطراً. فلم يسمعها مني أحد إلا بعد حين، امتد عند الأكثرين إلى سنين! وكنت
أقول: إن المقاومة شرف لا يستحقه هؤلاء. فلا ينبغي لنا أن نمنحهم إياه. ولسنا في حاجة
إليهم؛ فإن إسقاط الخصم لا يستلزم ضرورة أن تتوجه بالضرب إلى جميع أجزاء جسمه.
يكفي أن تركز على بعض مفاصله الحيوية والحساسة، فإذا هو ساقط أرضاً. وانتظروا
قليلاً فإنهم سيدخلون المعركة مرغمين، ردة فعل لا بد منها، لا فعلاً كريماً يستحقون عليه
الحمد والنياشين. إن أهل الحق يختلفون، فكيف بأهل الباطل؟! سيختلفون حتماً
ويصطرون. فدعوهم وما يصنعون.

وتبخرت كلماتي في حرارة ذلك الجو.. حتى أخذ القوم الزمهير. وهكذا نحن دائماً
- لطيبتنا، وغفلتنا - نأتي إلى المحطة بعد مغادرة القطار بساعة!

❏ سب الصحابة والتشهير بهم على أعواد المنابر

سب الصحابة ﷺ والطنن فيهم عقيدة لا يقبل إيمان الشيعة إلا بها. وهو أحد أذكاره التي يتقرب إلى الله بترديدها صباح مساء، مع نفسه إن كان عاجزاً، فإن تمكن أعلن بها على رؤوس الملأ. وربما تدرجوا فبدأوا بيزيد، ثم معاوية، وربما ثلثوا بعمر بن العاص. فإن وجدوا الجو خالياً، وردود الأفعال ضعيفة أو معدومة انفلتت ألسنتهم حتى تناولوا أمهات المؤمنين وخيرة الصحابة أجمعين! وهكذا مارس الشيعة هذه العادة السيئة، واقتروا هذه السيئة البشعة. ولطالما سمعها منهم أهل السنة يرددونها، وبمكبرات الصوت ترن في آذانهم. هذا عدا الأشرطة الصوتية والمرئية. وعبدا ما يصدر عن وسائل البث الإيراني. بينما تجذب أهل البيت - الذي يدعيه الشيعة لأنفسهم زوراً وتزويراً - لدى أهل السنة عقيدة يدينون بها! فأين المشكلة؟

❏ يسبون الصحابة ويتهموننا بالتهجم على أهل البيت

المفارقة الغريبة أن الشيعة يتهمون أهل السنة بكره أهل البيت، ويختلقون مشكلة وهمية لا وجود لها البتة. بينما المشكلة الحقيقية هي في كره الصحابة وسبهم والتشهير بهم.

في صيف عام 1995 - وكنت آنذاك في الحلة - كنت يوماً في زيارة إلى مدينتي (المحمودية) فأخبرني من التقيتهم من الأصدقاء أن بعض الحسينيات في المحمودية صارت تطعن في الصحابة من خلال مكبرات الصوت! كذلك صاروا يسمعون هذا الطعن من قبل بعض المتحدثين الذين يقومون بما يسمى شعبياً بـ(ختم الفاتحة) أي مجلس العزاء أو المآتم الذي يقام بمناسبة وفاة أحدهم. وأن أحداً من أهل السنة لم يتحرك لا من المشايخ ولا من غيرهم. ذهبت إلى إمام الجامع الكبير فلم تفلح محاولاتي معه في عمل أي شيء. ذهبت بعدها إلى المسجد الذي كنت أخطب فيه من قبل، وألقيت محاضرة عن فضل الصحابة والعلاقة الطيبة بينهم وبين علي (أهل البيت) عموماً. وتطرقنا إلى بعض البدع والمخالفات التي ترتكب باسم (أهل البيت)، وهم منها براء مثل سب الصحابة. ومثل

دعائهم والاستغاثة بهم. ونبهت على أن هذا ليس دفاعاً عن الصحابة فحسب وإنما هو دفاع عن أهل البيت أيضاً الذين نحبهم ونجلهم.

ورجعت بعد بضعة أيام ليخبرني المؤذن أن مدير (الأمن) - بناء على تقارير كتبت إليه من الشيعة المحيطين بالمسجد - استدعاه ليحقق معه في شأن تهجم وطعن بـ(الإمام علي) صدر من خلال مكبرات المسجد! ولم يكتف المدير بقول المؤذن حتى أبلغه بوجود حضوري أنا شخصياً إلى دائرة الأمن بتهمة (التهجم على الإمام علي). واستأت كثيراً لهذا، قلت: حقاً لقد هزلت! يستدعى أهل السنة بمثل هذه التهمة التافهة، بينما يُسب الصحابة على رؤوس المآذن، ولا من ساكن يتحرك ولا (مسكون)!.
هل رأيت الفرق بين موقف أهل السنة، وموقف الشيعة؟! إن هذه الحادثة تمثل حالة

عامة مستمرة للطرفين في العراق: أهل السنة لا يلقون بالألماء يجرى أمام أعينهم، ولا يعون ما هم فيه من خطر، ولا تستشيرهم كل الدلائل المؤشرة، والعلامات الخطرة، والمحفزات المزعجة. ولا يرون في الشيعة خطراً ولا عدواً. ومن تنبه منهم فتكلم اتهموه بشتى التهم! بينما الشيعة مستثارون، متحفزون، معبأون، ويتحرشون، ولا يدعون فرصة تمر إلا واستغلوها للإيقاع بعدوهم الوحيد: أهل السنة!

q حيثما يوجد الشيعة يوجد الاستفزاز والتحرش بأهل السنة

في ليالي رمضان تبدأ محاضرتي بعد غياب الشمس بحوالي ساعتين ونصف الساعة. ومن المعلوم أن الشيعة يصلون العشاء جمعاً مع صلاة المغرب. وتنتهي جميع طقوسهم التعبديّة عند هذا الوقت. كانت بالقرب من مسجدي حسينية تبعد عنه حوالي مائة متر! يظل القائم على أمرها صامتاً ينتظرني طيلة الفترة من المغرب حتى أنتهي من صلاة التراويح، وأبتدئ محاضرتي المعهودة. عندها فقط تصعد لديه حرارة (الإيمان) ليبدأ طقوس الإزعاج والتشويش المتمثلة بالأدعية التي تؤدي بلهجة إيرانية متعمدة. وأحياناً يقرأ القرآن. والغرض واحد.

وهكذا الحال في جامع المحمودية الكبير، في وسط المدينة. قربه واحدة، عبارة عن حجرة صغيرة، زرعت في سطحها مكبرات صوت لغرض التشويش أيضاً، والضرار والتفريق وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل.

٩ أنت تتألم إذن أنا موجود

ثبت بالاستقراء التام أنه حيثما وجد الشيعة وجد الأذى تجاه الآخر، والتحرش به، وبصورة استفزازية متعمدة. الشخصية الشيعية شخصية استفزازية. ولا يمكن لها أن تكون إلا كذلك!
لماذا؟

وعدت أقلب الأمر على وجوهه المختلفة. فوجدته نوعاً من محاولة إثبات الذات، يوجد عند الشعور بالنقص إزاء الآخر. لا سيما إذا كان الآخر حليماً ذا طبيعة بطيئة الاستجابة تجاه هذه التصرفات النكوصية. فيتماذى الشيعة أكثر وأكثر؛ إشباعاً لرغبة إثبات الذات، على طريقة: (أنت تتألم إذن أنا موجود). ولكن هذا التصرف يجلب المصائب، ولو بعد حين. وهكذا يجني الشيعة على أنفسهم، وتكرر الدورة عليهم كلما أعاد التاريخ نفسه. وعندها يلجأون إلى عاداتهم القديمة: التظلم والتشكي ودعوى المظلومية والاضطهاد. ولكن دون جدوى. وصدق الله تعالى إذ يقول: (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (النحل:118). وإلا ما الذي يجرتهم على الاستيلاء على ثلاثة مساجد مرة واحدة في بلد، وبلد تسبح في محيط سني، وما فيها من شيعة فمقطعون تماماً عن الوسط الشيعي في الجنوب.

٩ الشيعي يكون مسؤولاً

ليخدم الشيعة.. والسني يخدم الشيعة ليكون مسؤولاً

وأشد منها قضاء تلعفر في الشمال. ذهبت إليه قبل الاحتلال فرصدت فيه كثيراً من حالات التحرش والاستفزاز الشيعي لأهل السنة. من ذلك أن أحد الشخصيات الشيعية الشعبية يعمل مشرفاً تربوياً. استغل منصبه ليغير اسم مدرسة ابتدائية من اسم (الفاروق) إلى اسم (ثورة العشرين). بحجة أن هذا الاسم (الفاروق) مكرر في مدارس المدينة. علماً أنه لا يوجد في (تلعفر) كلها مدرسة بهذا الاسم! والمثير للمشاعر أكثر - وهو ما رأته بعيني - أن اسم (الفاروق) لا زال ظاهراً، يمكن قراءته بسهولة من قبل الجميع؛ لأنه صبغ بصيغ خفيف. ما يجعل كل إنسان ينظر إلى واجهة المدرسة ويقرأ



المعمم الأفندي إبراهيم الجعفري بحضرة الأفندي المعمم محمد سعيد الحكيم
(تبادل أدوار ووحدة هدف)

الاسمين يتساءل ولا بد : لماذا؟ ومن فعل هذا ؟ لاسيما وأن غالبية سكان القضاء من أهل السنة ويحبون الفاروق عمر رضي الله عنه ويتعصبون له، ويكتشفون ببساطة أن الذي غير الاسم إنسان حاقده على هذا الشخص العظيم. فأي استفزاز كهذا؟! ومنها أن شيخ حسينية هناك كان يصرح من فوق المنبر ، ومن خلال مكبرات الصوت بتحريف القرآن، ويتلو آية مخترعة وينسبها إلى القرآن هي (والذين آمنوا وآووا ونصروا ولم يهاجروا فأولئك هم المؤمنون حقا) قائلاً: هذه الآية نزلت في (أبي طالب). وحين رد عليه الشيخ الجليل (مصطفى حمو) إمام وخطيب جامع (محمد رسول الله) من خلال المنبر، كانت النتيجة – بعد الأخذ والرد والاستدعاءات والتحقيقات – أن عوقب الاثنان بالمنع من الإمامة والخطابة. وظل الشيخ مصطفى حمو ممنوعاً من ممارسة وظيفته سنين حتى وقوع الاحتلال، واضطراره إلى الهجرة من المنطقة. بينما ظل الشيخ الشيعي المفتري يزاول مهمته في حسينته، ولم ينقطع عنها يوماً واحداً! والسبب أن شيوخ السنة راسميون، وشيوخ الشيعة يعملون بصورة غير رسمية فقرار المنع لا أثر له واقعياً معهم. هذا عدا تغطية الجهاز الحزبي لهم، عن طريق اللوبي الشعبي المنتفذ بشتى الوسائل والطرق الملتوية. لا سيما المال الذي يصدقون به على ذوي النفوس الضعيفة من المسؤولين السنة. وهذا في جميع أنحاء العراق. حتى وصلنا إلى الحقيقة التالية:
(الشيعي يكون مسؤولاً ليعلم الشيعة. والسني يخدم الشيعة ليكون مسؤولاً).

q الحركة الغوغائية سنة 1991

عندما انسحب الجيش العراقي من الكويت الشقيق تحت ضغط قوات التحالف في أول آذار سنة (1991) قام الشيعة بحركة غوغائية طائفية، بالتعاون مع جهاز المخابرات والحرس الثوري الإيرانيين، تساندهم قوات بدر وغيرها من التنظيمات الشيعية العميلة، مارسوا فيها قتل أفراد الجيش العراقي المنسحب على الهوية، مستهدفين قبائل بعينها كالديلم، وطائفة بعينها هي أهل السنة. راح ضحيتها الكثير من الضباط والجنود. كذلك قاموا بتهديد أهل السنة القاطنين في الجنوب، وقتلوا بعضهم. كما قتلوا بعض العلماء ومشايخ الدين، وطاردوا البعض الآخر. وكانت شعاراتهم الطائفية المتخلقة - من مثل (ماكو ولي إلا علي ونريد حاكم جعفري) - تصك الأذان، وتملأ الشوارع، وتغطي الجدران. ومن قتلوه في أحداث شغبهم تلك أخي الشيخ نوري الدليمي إمام وخطيب جامع مشروع المسيب الكبير في ناحية جيلة التابعة لمحافظة بابل، والشيخ محمد طه السامرائي إمام وخطيب جامع (14 رمضان) في قضاء المحمودية التابع للعاصمة بغداد. أما أخي فقد وجدناه مرمياً في مبزل⁽¹⁾ زراعي، وقد عصبوا بعمامته عينيه، وأوثقوا يديه، وعلى جسده كدمات خصوصاً في ركبتيه، وفي رأسه أثر إطلاق نار، دخلت من قفاه، وخرجت من جبهته. وأما الشيخ محمد طه فلم نعر له على أثر. وحاولوا قتل الشيخ حامد فرحان الجميلي إمام وخطيب جامع المسيب الكبير في قضاء المسيب التابع لمحافظة بابل. فقد هاجموا بيته، وحاصروا مسجده، وأجأوه إلى الهرب متخفياً، بعد أن ظل محصوراً ساعات في منارة المسجد. رغم أنه كان على علاقة طيبة بالمجتمع الشيعي المحيط بالمسجد، ولم تحصل بينه وبينهم أية مشكلة طيلة المدة التي قضاها بينهم.

q استغلال الحزب الحاكم وغيره من المؤسسات للإيقاع بأهل السنة

دخل الشيعة حزب البعث الحاكم بأعداد كبيرة، قاربت نسبتها الثلثين، وكذلك جهاز المخابرات، وجهاز الأمن، وغيرها من أجهزة الدولة الخطيرة. وذلك بقصد تجويفها

(1) المبزل أو البزل هو شق عميق بعرض بضعة أمتار يخترق الأراضي الزراعية لغرض امتصاص الملح المترسب.

ونخرها من الداخل. وقد استغلوا مناصبهم وأموالهم وعلاقاتهم الشخصية في سبيل الإيقاع بأهل السنة، بواسطة تلفيق التهم وإلصاقها بهم. وكان لكل رجل سني مؤثر إضبارة في كل جهاز أو مؤسسة أمنية، تحتوي على عشرات التقارير، كتبها ضده - في الغالب - شيعة منظمون في الحزب أو رجال أمن أو وكلاء أمنيون أو جيران ومعارف عاديون. وكانت تهمة (الوهابية) أو (الإخوان المسلمين) وأمثالهما من التهم الجاهزة خير وسيلة للوصول إلى ضرب أهل السنة ومطاردتهم، وإلقاء الخلاف بينهم وبين الدولة، وجعل الطرفين يعيشان في توجس مستمر، وخوف دائم من بعضهما تجاه البعض الآخر. أحد أصدقائي أمام وخطيب في مسجد من مساجد منطقة الحرية المختلطة. استدعاه المدير العام في وزارة الأوقاف، يحقق معه بشأن حزمة من التقارير مرفوعة عنه من حزبي وأهالي المنطقة. فكان جواب الشيخ أن قال للمدير: 'لا أريد منك إلا أن تتأكد من كاتي التقارير. فإن كان واحد منها، واحد فقط مكتوباً بيد سنية، فكل ما في التقارير صحيح، وأنا أتحمل مسؤوليتها كاملة'. وبعد أيام أرسل إليه المدير يعتذر منه، ويعجب مما رأى.. لقد كانت التقارير كلها مكتوبة بأيدي شيعية!

كم كتب الشيعة علينا من تقارير؟! وزوروا علينا من وشايات؟! وكم استدعينا بسببها إلى الجهات الأمنية، وغير الأمنية؟! وكم تحملنا من أذى وملاحقات؟! منا من سجن، ومنا من قتل، ومنا من أعدم، ومنا من اضطر إلى ترك بلده، أو بلده بالكلية! لا يذهب بك الظن أن الشيعة يفعلون ذلك بصورة فردية، أو ردة فعل بحق أو باطل.. أبدأ. الأمر موجه مركزياً، ومخطط له مسبقاً، ومؤطر بالفتوى الدينية الصريحة!

يقول الخوئي: [حرمة الغيبة مشروطة بالإيمان. قوله: (ثم إن ظاهر الأخبار اختصاص حرمة الغيبة بالمؤمن). أقول: المراد من المؤمن هنا من آمن بالله وبرسوله وبالمعاد وبالآئمة الاثني عشر (ع) أولهم علي بن أبي طالب (ع) وآخرهم القائم الحجة المنتظر. ومن أنكر واحداً منهم جازت غيبته لوجه:

الوجه الأول: أنه ثبت في الروايات والأدعية والزيارات جواز لعن المخالفين، ووجوب البراءة منهم، وإكثار السب عليهم، واتهامهم، والوقية فيهم أي غيبتهم لأنهم من أهل البدع والريب، بل لا شبهة في كفرهم. لأن إنكار الولاية والآئمة حتى الواحد منهم والاعتقاد بخلافة غيرهم يوجب الكفر والزندقة، وتدلل عليه الأخبار المتواترة

الظاهرة في كفر منكر الولاية، وكفر المعتقد بالعقائد المذكورة، وما يشبهها من الضلالات...

الوجه الثاني: أن المخالفين بأجمعهم متجاهرون بالفسق لبطلان عملهم رأساً كما في الروايات المتضاربة.

بل التزموا بما هو أعظم من الفسق كما عرفت . وسيجيء أن المتجاهر بالفسق تجوز غيبته.

الوجه الثالث: أن المستفاد من الآية والروايات هو تحريم غيبة الأخ المؤمن. ومن البديهي أنه لا أخوة ولا عصمة بيننا وبين المخالفين...

الوجه الرابع: قيام السيرة المستمرة بين عوام الشيعة وعلمائهم على غيبة المخالفين، بل سبهم ولعنهم في جميع الأعصار والأمصار، بل في (الجواهر) أن جواز ذلك من الضروريات⁽²⁾.

أرأيت!

وقد عانينا الكثير الكثير من تقارير الشيعة، التي كانوا يرفعونها إلى الدوائر الحزبية والأمنية، واتهامهم إيانا بعظائم التهم. بل إن احتلال العراق لم يتم إلا طبقاً لتقاريرهم ووثائقهم المزورة، المشرعة بفتاويهم الفاجرة، التي كانوا يرفعونها إلى الدوائر الغربية المختصة. وفعلوها بالبلد كله دون أن يرف لهم جفن، أو يتحرك لهم عرق، أو يروا أنهم يرتكبون جرماً! كيف وكبيرهم يقول لهم: (من البديهي أنه لا أخوة ولا عصمة بيننا وبين المخالفين)؟! بل فعلوا ما فعلوا وهم يبتغون الأجر والثواب والقربى من رب العالمين.

q المضايقات الاجتماعية والملاحقات الأمنية

كان أهل السنة القاطنون في الجنوب يعانون أشد العناء من مضايقات المجتمع الشيعي لهم، ومحاربتهم في أرزاقهم. وكتابة التقارير المزورة عنهم لدى الجهات الأمنية والحزبية، وبتنسيق مبيت مع المسؤولين الشيعة. الذين يكثر وجودهم في الوظائف الحساسة. وإذا

⁽²⁾ مصباح الفقاهة، 323/1-324، ط3 - 1371، مطبعة الغدير.

كان ثمة مسؤول سني، فإن غالبهم لا يعنيه أمر أهل السنة بشيء. بسبب الثقافة الاجتماعية والحزبية التي تربي عليها، والقوانين الرسمية تمنعه من ذلك. وكثير منهم مسكون بهاجس الخوف من شبح (الوهابية). وقد استغل الشيعة هذا الأمر أسوأ استغلال في ملاحقة شباب السنة، ومضايقتهم اجتماعياً وأمنياً.

والسبب في هذه المفارقة مرده إلى أمرين:

الأول: أن السني تحكمه نفسية الأغلبية الحاكمة أو القائدة. بينما الشيعي تحكمه نفسية الأقلية المحكومة المضطهدة. ولتعلم القارئ أنني أنظر للحالة من الزاوية النفسية الجماعية، وأتكلم عن علل نفسية. والعلة عندما تكون نفسية لا تعالج بالمعطيات المنطقية أو العقلية. فلا يصح أن يقال هنا: إن الشيعة أغلبية، أو إن الشيعي لا يرى نفسه ينتمي إلى أقلية اجتماعية؛ حتى لا نختلف في موضوع الأكثرية والأقلية، وأي منهما من نصيب الشيعة أو السنة؟ وهذا الفرق النفسي له أثره الفعال على الواقع، من حيث أن الأول (السني) يكون غائباً عن الوعي بهويته الطائفية، يشعر بالأمان في وسط يتأمر عليه. بينما الثاني يكون واعياً بتلك الهوية، بل لا يرى هوية له غيرها، خائفاً يترقب ويترصدها كل حركة من الآخر مهما كانت عفوية، أو لها أسبابها الموضوعية، ليفسرها طبقاً لهذا الوعي الحاد المتخلف.

والثاني: أن نهج الدولة، وتعاليم الحزب الحاكم صارمة في الابتعاد عن كل ما يثير الحس الطائفي، أو يشير إليه. ولقد كنا نرى المسؤولين يكابرون في إنكار وجود خلاف طائفي، أو صراع خفي على هذا الأساس. ويرجعون الأحداث الطائفية إلى أسباب سياسية. كما هو ديدن الكثيرين من أهل السنة اليوم: (إسلاميين) وسياسيين، الذين لا زالوا مسكونين بالتثقيف (الوطني) القديم، والثقافة المنبرية التقليدية، والتربية البيئية، وتقاليد القبيلة. وهي عقبة كبيرة أمام علاج الحالة؛ لأن التشخيص نصف العلاج، الذي من دونه لن يحصل الشفاء. من حق الإنسان أن يحلم، وأن يتمنى. ولكن الحلم غير الواقع. وحين يعيش الحالم حلمه واقعاً تكون الكارثة. وبيتعد عن الهدف بمقدار قوة الحماس للحلم الذي يتمناه، أو للأمنية التي يحلم بها. وينعكس تسلسل الأمور. فبدلاً من أن يتحول الحلم إلى واقع يعيشه، يتحول الواقع الذي كان يرفضه، ويتمنى تغييره إلى حلم يتمناه ولا يلقاه.

٩ بين مطرقة المسؤول وسندان المجتمع

كان السني في المحيط الشيعي أو المختلط يعاني من حالة تمزق وضيق: المجتمع يجاربه ويناكده، والحاكم يلاحقه ويطارده. فبائع الخضروات الشيعي الحاقد - مثلاً - يمكن أن يرمي الشاب السني بالطماطم، إذا مر بسوق الخضروات في العشار مثلاً، وهو يصيح بأعلى صوته: (هوبي..! هوبي..!) أي وهابي. وإذا علم الشيعي أن الشاب فلاناً سني، حاربه في رزقه، وطرده من عمله. ورفض التعامل معه. وذاك السجان يوقع على الشاب السني أقسى العذاب؛ لأنه سني. وموظف الأمن، وتابعه (المتبرع بالدور دون ارتباط رسمي) الذي يسمى بـ(وكيل الأمن) يهيم الأمر ويقوم بالدور، فيكتب عنه أفضح التهم، ويلفق له، ويفتري عليه. وهكذا كل حاقد من الشيعة - وعامتهم حاقدون معبأون - يؤدي من موقعه دوره تلقائياً نحو أفراد أهل السنة، الذين يسمونهم (وهابية).

٩ واقع عشناه

وهذه أمور قد عشناها بأنفسنا، ولسناها بأيدينا. وكنا نتألم أشد الألم من أوضاع إخواننا الاجتماعية والاقتصادية في الديوانية والناصرية والعمارة والسماوة وغيرها من المناطق ذات الأغلبية الشيعية. بينما لا يعاني الشيعة هذا العناء في مناطق الأغلبية السنية. بل يلقون كل ود واحترام.

اعتقل الجهاز الأمني في الديوانية سنة (1998) مجموعة من إخواننا شباب أهل السنة، أحدهم نسبي - وبعضهم كان يكتنم تسننه وإيمانه - بتهمة ملفقة هي اغتيال بعض المرجعيات النجفية. وقد أذاقوهم صنوف العذاب، وكانت الأسئلة التي توجه إليهم في التحقيق طائفية بحتة! من مثل: لماذا تكرهون (الإمام علي)؟ لماذا لا تذكرون (الشهادة الثالثة) في الأذان؟ لماذا لا تصلون على التربة؟ لماذا تصلون خمس مرات لا ثلاثاً؟ لماذا تصلون الجمعة؟ وأمثالها من الأسئلة المتخلفة. وبعد كل سؤال تعليق بالحبال وتعذيب. والأدهى من ذلك أنهم يجبرونهم على التلطف بكلمات فاحشة على أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها وأرضاها! ولا عجب؛ فمدير الأمن شيعي، والمحافظ شيعي، وأمين

سر الفرع، وعضو القيادة كذلك! والمسؤول السني فيما بينهم لا يدري من الأمر شيئاً، ولا يعي أنه سني في وسط منطلقاته ومحركاته وغاياته كلها طائفية حاكمة. بل يعتبر هذا تحلفاً ثقافياً، ومفهوماً طائفيًا يخالف تعاليم (الحزب)، وسياقات الدولة. ويتصور أن الآخر يتحلى بالنفسية والعقلية الحيادية نفسها؛ للسبيين اللذين ذكرتهما آنفاً.

وقد ابتداء الحدث في بداية شهر (آب) بدخول ثلاثة أشخاص على إمام ومؤذن جامع الشامية الكبير في قضاء الشامية في الديوانية وهو يصلي صلاة العشاء في حرم المسجد وحده، فبادروه وهو ساجد وضربوه. وتركوه ينزف. ثم أدخل المستشفى وقد كسر أنفه، وفطر عظم جمجمته. وفي اليوم التالي، وبينما كان يرفع أذان الظهر في المسجد شاب آخر، جاءت مجموعة من رجال الأمن، واقتادته مقيداً، واخترقوا به السوق وهم يضربونه بأعقاب البنادق، والناس من حولهم يتفرجون ويصيحون: "هاهي وهاهي" حتى وصلوا به إلى دائرة الأمن، وهناك قاموا بتعذيبه وأجبروه على الاعتراف زوراً بقتل مرتضى البروجدي بالتعاون مع مجموعة منتخبة من الأشخاص. وعلى إثرها قاموا بإلقاء القبض على ستة منهم على أساس أنهم شركاء في الجريمة!

وبعد خروج إمام المسجد من المستشفى، جاء إليه من يناديه من نافذة داره: (دير بالك على جهالك!) وهي كلمة تهديد تعني إن لم تخرج فالثمن أطفالك. ولما توجه إلى المسجد أخذه رجال الأمن بحجة أنه سارق! وذهبوا به إلى دائرة الأمن. وهناك أخذوا منه المفاتيح وأطلقوه. وأغلقوا المسجد! فاضطر إلى مغادرة المنطقة. ولم يحقق في قضية الاعتداء عليه، ومن هو المسؤول عنها؟ وفسرت قضائياً على أنها مشاجرة لا أكثر! وأغلق ملفها تماماً.

وفي يوم (21) من الشهر نفسه وقعت حادثة أخرى. فبعد صلاة الصبح جلس المؤذن - وهو عديلي - وحده بعد خروج المصلين من المسجد، يردد أذكار الصباح، ففوجئ بدخول ثلاثة رجال عليه! لم يهلوه حتى كمنوا فاه، وانهالوا عليه ضرباً بجرية كانت في يد أحدهم. الذي طعنه أربع طعنات: ثلاث منها في مؤخرة رأسه، والرابعة فوق حاجبه الأيسر. لكنه تفلت منه، واستطاع أن يصرخ بأعلى صوته صرخات سمعتها زوجته من داخل الدار، فخرجت تصيح نحو أهلها القريبين منها وجاء أخوها يركض، فوجد نسيبه غارقاً بدمائه. فنقله بسيارته إلى المستشفى. وظل فاقدًا للوعي يهذي بضع ساعات. وكانت حالته خطيرة، ومرشحة لأن تؤدي به إلى الوفاة. لكن الله سلم.

كان أحد الحراس (وهو شيعي) شاهداً على الحدث . لكنه لم يحرك ساكناً . وادعى - رغم كل ما جرى أمامه من عراك، وصراخ، ومحاولة قتل، ثم خروج الجناة يركضون - أنه لم ير شيئاً. وأوقف الشرطة الحارس، ثم أطلق سراحه بعد ساعتين. وانتهى الأمر عند هذا الحد! وفسر الحادث قضائياً على أنه مشاجرة أيضاً!

في الوقت نفسه حصل اعتداء على إمام وخطيب جامع العباسية في كربلاء واثنين من المصلين خرجا معه بعد صلاة المغرب، وأدخلوا المستشفى. ولم يكتف الجناة بهذا حتى جاءوا إلى بيتي هذين الرجلين عدة مرات، وهم ملثمون يهددونهم بالقتل إن لم يرحلوا! ولم يكن هذا الاعتداء هو الأول، إنما سبقته عدة اعتداءات على بعض المصلين. وقد قتل الشيخ المذكور وأخوه بعد الاحتلال على أيدي الشيعة. رحمهما الله تعالى.

تري...!!!

من بدأ العداوة والعدوان؟ وأين الفعل ورد الفعل؟

r صور من العدوان

على المستوى الشخصي

qq أما على المستوى الشخصي أو الفردي فالوقائع كثيرة. لا أدري بم أبدأ؟ وم أنتهي؟ ولا ما الذي أخذه؟ وما الذي أدعه؟!

q مقتل أخي على يد الشيعة

قتل أخي الكبير الشيخ نوري الدليمي على يد الشيعة على هامش الحركة الغوغائية سنة 1991، بوشاية وتخطيط وتنفيذ منهم، متهمين إياه بـ(الوهابية). وذلك بسبب جهوده ودعوته في ناحية (جبل)، التي أثمرت عن هداية الكثير من الشيعة والسنة إلى الدين الصحيح. وكانت الأساس الذي انطلقت منه النهضة التصحيحية في تلك المنطقة الكبيرة وما جاورها. لم يعتد في يوم على أحد، ولم يؤذ أحداً، وليس بينه وبين أحد من عداوة. إنما كان قتله كما قال سبحانه: (وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (البروج:8).

q مدير دائرة الأوقاف في بابل

وودعت مهنة الطب أواخر سنة 1994، لأنتقل في شباط من سنة 1995 إلى الحلة (بابل) في مسجد من مساجدها. وسكنت هناك مع عائلتي. فإذا بالتقارير السوداء تتطاير عليّ من هنا وهناك، إلى الجهات الأمنية والحزبية! وكان أحد الساعين ضدي مدير دائرة الأوقاف في الحلة، رغم مظهره الناعم، وتظاهره بالود والمحبة. وظل يكيد بي، حتى تمكن من غايته عن طريق عضو قيادة حزب البعث مزبان خضر هادي، وهو شيعي مثله، فيلي الأصل. والفيلية فرس. ومثله كثير ممن جاء بهم حاطب ليل الحزب. وكان قرار النقل

وزارياً ويقضي بنقلي خارج منطقة الفرات الأوسط - أي خارج دائرة المحافظات الثلاث (بابل والقادسية والمثنى) - دون تحديد إلى أي منطقة؟ وفي أي مسجد!

q شيخ عشيرة في إحدى القرى ببابل

تمكنت - بوساطة بعض الخيرين - من تغيير النقل إلى مسجد يقع في إحدى قرى الحلة، وتسمى قرية (البوعلوان). فيها شيخ عشيرة معروف بطغيانه وقسوته ودمويته، إضافة إلى فسادته وتهتكه وتحلله. ومما زاد في طغيانه وفساده أنه كان مقرباً من رئيس الدولة. لم أستطع الاستمرار هناك أكثر من خمسة أشهر، لم تخل من مضايقات واستدعاء أمني. وعن طريق شيخ السوء الشيعي هذا حيكت المؤامرة. وكان أحد أطرافها مسؤول شعبة الحزب في الناحية، ومحام ثري قالوا: دفع مبلغاً كبيراً لذلك الشيخ. وكلهم شيعة. ولم تكن حوزة النجف بمنأى عن الحدث. فقد نقل لي أحد أصدقائي أنه التقى شخصياً بوكيل السيستاني (علي البعاج)، وسمع منه معلومات تفصيلية عني، وعن العاملين في حقل الدعوة في الجنوب، وبالأسماء والأماكن. وأنهم يضعون الخطط لإحباط العمل. بل وللتصفية الجسدية. ويقول: إن أمرهم قد فرغنا منه، وأنه مستبشر للذي حصل من أحداث أخيراً.

تأملت يوماً كثيراً وأنا أقارن بين حالتين وصورتين متضادتين: علماء الشيعة ومثابرتهم وهمتهم، وكيف يخططون ويسهرون. وعلمائنا وغيوبتهم وفراغ بالهم، وكان الأمر لا يعينهم بشيء. فضلاً عن كونهم يخططون أو يعملون!!

q الاعتداء على المصلين في مسجدي

كانت المضايقات والمنغصات تتعدى إلى المصلين. في إحدى المناسبات كان الحزب قد نصب عدة سرادقات على طول الطريق العام في المنطقة، أحدها في مدخل القرية، ويتولاه ابن الشيخ وأقاربه، وبقية الحزبيين في المنطقة. وفي يوم الجمعة كان البعض يأتي ليصلي عندي من خارج القرية. فكان هؤلاء يقومون بتفتيشهم وإزعاجهم، وإسماعهم

الألغاز النابية، مستغلين صفتهم الحزبية. حتى إنهم قاموا بإنزال أحدهم من السيارة، وضربه أمام زوجته!

وذات مرة جاءني من القرية المجاورة ثلاثة شبان أحدهم طبيب عسكري. حضروا محاضرتي التي ألقيتها كل يوم خميس بعد المغرب. وبعد الصلاة دعوتهم إلى بيتي. أخذوا مني شريط المحاضرة، وكتيباً مصوراً لي عن بدعة (الخمسة). وبعد ساعة انصرفوا من عندي. وفي الطريق إلى قريتهم ليلاً فوجئوا ببعض الحزبيين قد نصبوا نقطة تفتيش على الطريق. أما الشريط فأتلفوه وألقوه من السيارة التي كانوا يستقلونها، وأما الكتيب فنسوه. وحين أوقفناهم النقطة، وقاموا بتفتيشهم وتفتيش السيارة، وجدوا الكتيب، وعلى ضوء مصابيح السيارة أخذ مسؤولهم يقلبه، ثم أمر باعتقالهم بتهمة (الوهابية)، مع أنه يعرفهم معرفة تامة، وعلى علاقة جيدة بأهاليهم! لكنه أراد اقتناص الفرصة للإيقاع بهم؛ لأنه يعرف جيداً أنهم من الشباب الذين تحولوا من مذهبهم إلى مذهب أهل السنة والجماعة. ولم تنفع كل المحاولات في الإفراج عنهم. وظل صاحبي الطبيب معتقلاً لدى دائرة الاستخبارات العسكرية في بغداد، ولم يفرج عنه إلا بعد ستة أشهر، رغم انعدام أي دليل على الدعوى المقدمة ضده! أما بعد الاحتلال فصار يطارد هو ومن معه في القرية من شباب السنة من قبل جهاز الأمن الشيعي في المحافظة بالتهمة نفسها (الوهابية)!! وقد حدثني الدكتور أنه هوجم مرتين في المستشفى الذي صار يعمل فيه في الحلة من قبل أشخاص ينتمون لمنظمة (بدر) يحملون السكاكين. وفي كل مرة يتخلص منهم بالهرب! ثم اضطر إلى ترك بيته وأهله والانتقال إلى محافظة أخرى حفاظاً على نفسه. وكذلك فعل بقية الشباب في القرية!

٩ تهمة الانتماء إلى الإخوان

وظل الشيعة يلاحقوني، ويكيدون بي حتى بعدما رجعت إلى مدينتي المحمودية. والأمثلة كثيرة، وبصور شتى. اتهموني سنة 1999 بأني أترأس تنظيمياً للإخوان المسلمين في ناحية (جبل)، مع أحد عشر شخصية سنية أخرى معروفة. وكان الرأس المدير دائرة أمن محافظة بابل، ومعه مقدم أمن في الدائرة، مستغلين أحد الأغبياء من

أهل السنة. في قصة طويلة، كدت أن أدفع لها حياتي، وكان الموت مني قاب قوسين أو أدنى ، لولا لطف الله تعالى الواضح. واختفيت أياماً عن الأنظار، حتى فرجت بتدخل بعض الخيرين ممن ساقهم القدر الإلهي. وحين أقول هذه العبارة فأني أعنيها حرفياً. ولولا خشية الخروج عن السياق لقصصتها، وتبين للقارئ لها بوضوح كيف أن يد القدر هي التي كانت تسير الأحداث!

q فتاوى شيعية بالقتل

وصدرت فتاوى دينية بقتلي . قام بنشرها بعض المعممين من الشيعة الذين كانوا يترددون على المنطقة ، وهو مجرضون عليّ. وتكهرب الجو، والتهديدات تصل إلي من هنا وهناك. وكان مدير أمن الحمودية، شخصاً ضيق الصدر، محدود الأفق، لا شيء في باله غير (الوهابية) وملاحقتهم! أصله من تكريت، فجاءنا متأثراً بأجواء الخلاف هناك بين الصوفية والسلفية، التي يسميها الوهابية. ومهما أردت أن توضح له جلية الأمر، وتبين له أن الخطر هو خطر الشعوبية، وليس (الوهابية) لا يفهم، ولا يريد أن يفهم! وقد سبب لي إشكالات كثيرة. حتى إذا نقل منا، جاء بعده ضابط، تبين لي أنه شيعي مستتر بالثسنن، بديري من الديوانية، لكنه يدعي أنه بدري من سامراء، مستغلاً خدمته فيها سابقاً مدة من الزمن! وسبب لي مشاكل أخرى قبل أن ينتقل إلى بغداد معاوناً سياسياً لمدير دائرة أمن بغداد/الكرخ! ومن هناك صار يكيدي!

q وتشتد الأزمة أضعافاً

ثم اشتدت الأمور تازماً بعد أن استلمت جامع الحمودية الكبير في مركز القضاء. ورغم أن مدة بقائي فيه لم تستمر أكثر من بضعة أشهر، فأني فصلت منه ثم عدت، عدة مرات! وقد خضت في هذه الفترة بجرأ من المشاكل والصعاب، واستدعاءات وتحقيقات في وزارة الأوقاف، ومرافعات في المحاكم، ومراجعات لمركز الشرطة، ومقابلات مع المسؤولين. وأخيراً كان الخصم وزير الداخلية نفسه! ومعلوم ماذا يعني هذا؟ ولم يكتف

الشيعة حتى وصلوا بوشايتهم ضدي إلى عدي صدام حسين! تصور ماذا ستكون النتيجة لو أنهم نجحوا في سعايتهم هذه؟! هذا وأنا أدور على أبواب الخيرين من المتنفذين أشرح لهم الحقيقة، وأبين لهم جذور الخطر والمؤامرة، وهم بين مكذب ومصداق. وقد لطف الله تعالى بي أن كان آخر مدير لدائرة الأمن رجلاً خدام سنين في الجنوب، فهو على علم وخبرة بأهله ودسائسهم. فكان متعاطفاً معي، متفهماً لموقفني. وعن طريقه توصلت إلى أحد نواب عدي في اللجنة الأولمبية، وشرحت له تفاصيل المشكلة. كنت أخشى أن يتخذ عدي قراراً ما يحقي، قبل إجراء تحقيق أصولي. لكن الرجل - بعد أن عرف ما ينبغي معرفته - طمأنني ووعدني خيراً.

٩ مؤامرة قتل

وهكذا كان. لتنتهي بذلك حلقة في سلسلة من المؤامرات الشيعية، ابتدأت حلقتها الأخطر عصر يوم جاءني فيه أحد أصدقائي، وأنا أتهدأ لألقاء محاضرة في المسجد، ليخبرني بأمر خطير يحاك ضدي. أحد الباعة المتجولين في السوق ممن تحول إلى مذهب أهل السنة، لكنه كان يخفي تحوله عن أهله ومجتمعه، أخبره بأنه مر بمحل لشخص معروف لديه، فوجد عنده رجلاً من أهل النجف، سمعه يتحدث معه بشأن خطة اغتيال تدبر ضدي! أسرع الأخ البائع، ليخبر صديقي بالأمر. وجاءني ذلك الصديق على الفور بما سمع من صاحبه. لم أحمل الأمر على محمل الجد، لكنني سجلت اسم الشخص على ورقة، ووضعتها على الطاولة، وخرجت إلى المسجد. كان ذلك يوم 2002/4/8.

بعد المحاضرة مباشرة - وبينما كنت أملك أوراقني - فوجئت بشخصين، أعرف أحدهما، والآخر أجهله، وقد تخطيا صفوف الحاضرين، ليقفا على رأسي والشرر يتطاير من عيونهما، ويتكلمان بكلام خشن، وبنبرة حادة تتزايد وتيرتها مع الكلام. حاولت صرفهما بكل وسيلة فلم أفلح. كان المؤذن لحظتها يرفع أذان العشاء. وأخيراً وقع الصدام بيننا، وحدث ما لم أكن أتمناه. سارع بعض الحضور فأغلق الأبواب. وكانت بادرة ذكية، فقد تبين فيما بعد أن هذين لم يكونا إلا طليعة لمجموعة من الغادرين كانوا يتربصون اللحظة الميمنة ليدخلوا من باب المسجد الخارجي الجاتي، وينفذوا ما يريدون تنفيذه.

وقطع المؤذن الأذان وبقيت السماعة مفتوحة. كان مخفر الشرطة قريباً فهرع إلينا بعض أفرادهم، أحدهم ضابط، وقاموا باعتقال الشخصين. كانت بعض النسوة الشيعيات من جيران المسجد - كما نقل إلي من قبل الناس الذين شهدوا الحدث - يرفعن أصواتهن بالزغاريد. كذلك فعلت نساء أخريات في حي آخر بعيد عن المسجد يقطن فيه أحد الشخصين، وهو الذي كنت أعرفه.

كانت ليلة ليلاء، وحادثة لها ما بعدها. كثرت فيها الشائعات والروايات المتضاربة، والقيل والقال. وحين عدت إلى بيتي منتصف الليل، تفقدت الورقة التي تركتها على الطاولة، فوجدت بأن الاسم الذي كتبت فيه يعود للشخص الآخر الذي لم أكن أعرفه! وقد عرفته من خلال الحادث حين صار الناس يذكرون اسمه. وتبين لي فيما بعد أنه إيراني الأصل. ينتسب زوراً إلى إحدى القبائل العربية. أمه مديرة مدرسة ابتدائية، وعضوة فرقة في حزب البعث! من المفارقات المضحكة أن أخوا له حضر إحدى مرافعات المحكمة فيما بعد، طلب القاضي منه هويته، فتبين أنه ينتسب إلى قبيلة أخرى غير القبيلة التي ينتسب إليها أخوه!

بعدها دخلت في دوامة من المشاكل والقضايا، والمرافعات في المحاكم، والمراجعات لدوائر الشرطة والداخلية والأمن والحزب. وفي كل مرة يلقون قضية ضدي. وحين كنت أواجه المسؤولين، كانوا يقولون: نحن نعرف كل شيء، ولكن ماذا نفعل إزاء القانون الذي يمنح كل مواطن حق الشكوى ضد أي شخص!؟

٩ اعتداء بالسكاكين

بعد مدة قليلة حصل اعتداء من قبل مجموعة من الشيعة على أخوين لي أمام المسجد كانا يقومان بحمايتي. تصور...!!! حمايتي! كما وضعت حرساً على بيتي يبيتون عندي كل ليلة! طعن أحدهما بسكين في ظهره! وسلم الآخر. وسجلت دعوى ضد المعتدين في مخفر الشرطة. ورغم المراجعات لم يتحرك أحد من الشرطة ضد من قام بالاعتداء! وظلت الشكوى نائمة في درجها. وذلك أن غالبية أفراد الشرطة والضباط من الشيعة.

٩ وزير الداخلية يتدخل مخدوعاً إلى جانب الشيعة

وبعد حوالي أسبوعين، وفي خطبة الجمعة تطرقت عرضاً ومن دون قصد سابق إلى الموضوع في الخطبة الثانية. فتكلمت على الشرطة وتقايسهم، واتهمتهم بأخذ الرشوة، مع استثناء القليل منهم. فكانت كلمة استرقها أحد الضباط الشيعة، فطار بها كل مطير، وكتب بها كتاباً إلى وزارة الداخلية، أخذه بنفسه وفي اليوم نفسه إلى بغداد حيث مقر الوزارة. وكانت التهمة التهجم على مؤسسة الشرطة. وهي تقضي بسجني سنتين أو ثلاثاً! وهكذا دخلت في دوامة أخرى كان خصمي فيها - كما قلت آنفاً - وزير الداخلية نفسه! الذي ظل يلح على محاكمتي، ويرسل بكتبه إلى وزارة الأوقاف، حتى استجاب وزيرها الضعيف، فأصدر أمراً بإنهاء تكليفي بالوظيفة، والموافقة على إحالتي إلى المحاكمة. ولم يتته الأمر إلا بالعفو العام الشامل الذي أصدره رئيس الجمهورية آنذاك عن المعتقلين، وإنهاء كل القضايا العالقة، وغلق ملفاتها، فكنت من المشمولين بالعفو ذاك.

٩ مؤامرة اغتيال

وكان من المشمولين بالعفو أخو الشخص الإيراني الأصل السابق الذكر. ألقى القبض عليه وأودع التوقيف على ذمة التحقيق، بعد أن تبين أنه كان يترأس عصاة مقرها بعقوبة لاغتيالي واغتيال شيخ آخر مع ضابط أمن في المحمودية. ولو رحلت أتحديث - ولو باختصار - عن كل ما حصل لي من الشيعة ومؤامراتهم، لاحتاج ذلك إلى مؤلف كامل بمجلدات!

٩ اللوبي الشيعي

انظر إلى الشيعة، وكيف يتكاتفون فيما بينهم، ويستغلون مناصبهم - لا سيما الحزبية - في خدمة قضيتهم ضدنا! عضو فرع في الحزب من النجف، تسلم الإدارة العامة للمساجد في وزارة الأوقاف لمدة شهر واحد فقط حسب نظام (المعايشة) الذي كان معمولاً به من أجل تدريب الكوادر الحزبية المتقدمة على القيادة. في هذا الشهر قام

بفصلي من وظيفتي. وحين تمكنت من الرجوع إليها، أصدر أمراً آخر يقضي بفصلي مرة أخرى بعد عشرة أيام من رجوعي! تحت ذريعة عدم التزامي بتوجيهات وزارة الأوقاف! قلت لوكيل الوزير: لم تمر علي سوى جمعة واحدة خطبت فيها خطبة واحدة فقط! بينها وبين قرار الفصل أربعة أيام، فكيف استطاع في هذه الأيام القليلة أن يعرف أنني لم ألتزم بالتوجيهات؟! متى رفع إليه التقرير؟ ومتى اتخذ قراره؟ وما هذه السرعة التي يتحرك بها؟! وما هذه المتابعة الشديدة لي من بين مئات الخطباء في بغداد؟ ثم إن الخطبة مسجلة، ولك أن تسمعها بنفسك لترى عدم صحة الحجة التي بها فصلت.

و حين شكلت لجنة تحقيق في الوزارة من عضوين ورئيس، كان كلا العضوين شيعياً، ومن النجف، أحدهما قاض كبير السن ينتمي إلى قبيلة يشك في نسبها، ويظن أنها يهودية الأصل، والآخر من كبار الطائفيين في الوزارة. وانتهى التحقيق إلى ما انتهى إليه من فصلي والموافقة على إحالتي إلى المحاكمة كما أسلفت، رغم تطمينات رئيس اللجنة السني، الذي تبين لي فيما بعد أنه متواطئ ضدي، وكذلك المدير العام السني، الذي مثل معي دور رئيس اللجنة نفسه!.

٩ وهجرت بيتي مطلوب الرأس

وخرجت من بيتي عشية اليوم الذي وقعت فيه الحرب، ولم أعد إليه حتى اليوم. وقد مر عليّ منذ ذلك اليوم الحزين أربع سنين.. ونصف السنة. وتحتل بغداد، ليقوم الشيعة بمظاهراتهم في مدينتي وهم يطالبون برأسي. وأذاعوا بياناً من إحدى الإذاعات يتضمن مكافأة مالية مجزية لكل من يدل عليّ.

لم أكتب ما كتبت سرداً لسيرة شخصية، ولم أذكر إلا القليل مما عانيته على يد الشيعة ودسائسهم. إنما قصدت أن أعطي أمثلة واقعية لمستها بنفسي، ترسم صورة - ولو مصغرة - لما كان يفعله الشيعة بأهل السنة، وكيف استغلوا الحزب والدولة ضدهم؟! ولربما نجحت في أن ألفت النظر إلى قوة (اللوبي الشيعي)، وتماسكه، وتفاهمه مع بعضه، وتغلغله في دوائر الدولة ومؤسساتها الحساسة، وسيطرته عليها، وتسخيره للكثيرين من أهل السنة فيها. فيدرك القارئ أن الشيعة هم الذين بدأوا العدوان، والاستفزاز.. ومنذ زمن بعيد.

الاحتلال

q العقلية المتحفزة عند الشيعة

هل أدركت الآن أن وضع الشيعة قبل الاحتلال لا يختلف عنه بعد الاحتلال؟ إلا من ناحية الفرصة المناسبة، والإمكانات المتاحة لتنفيذ مشروعهم الطائفي الحاضر في عقولهم، ونفوسهم، وأرواحهم، وما استطاعوا من إعداد مكن كالأحزاب السياسية، والتنظيمات العسكرية المتربصة في إيران وغيرها. وقد قاتلت هذه التنظيمات - مثل منظمة بدر، وحزب الله اللبناني - إلى جنب الأمم إيران في حربها ضد العراق على عهد الخميني. وكذلك قاتلت إخواننا في الأحواز العربي المغتصب.

عقلية المواجهة عند الشيعة إذن كانت حاضرة، وتعد العدة لليوم المنتظر. وكثيراً ما كنا نسمع منهم كلمات الوعيد مثل (جاء يومكم). ولربما حكاهما البعض منهم بأسلوب المزاح. ولكنه مزاح أصفر، لا يخفى على اللبيب ما تحته من سم وحقد أسود.

q العقلية المخدرة عند أهل السنة

أما العقلية السنية فكانت عقلية مخدرة، بعيدة عن التعصب والمواجهة. وقد شارك في صنع هذه العقلية الساذجة، البعيدة عن الواقع عدة عوامل، منها: التثقيف الحزبي، والمنبر الديني، والمدرسة. ولم تكن لديهم مؤسسة - كالحوزة عند الشيعة - تغرس الحقد والعداوة في نفوسهم. بل الكليات الشرعية السنية مباحة لدخول الجميع من السنة والشيعة على حد سواء، ومن دون أي شرط خاص. على العكس من مدارس الحوزة، التي لا يدخلها إلا الشيعة، وبعد توثيق شخصي مشدد.

والسني حين يفكر في العدو، إنما يفكر في اليهود أو الأمريكان، ولا شيء آخر. لا يخطر في باله أن عدوه الخطير ربما يكون هو هذا الذي يتحرك أمامه، ويشاركه العيش في

بلده. بينما الشيعي إذا ذكرت له فلسطين أجابك: ما لنا ولها؟ كفانا حروباً، دعونا نعيش.
ولا يعرف له عدواً سوى هذا السني الذي يتحرك أمامه، ويشاركه العيش في بلده!
وأكثر أهل السنة كانوا متعاطفين مع الشيعة ومتأثرين بدعاية (المظلومية). ولم يكن
أهل السنة - للأسباب التي ذكرناها - طائفيين، رغم الكثير من الدلائل، والمواجهات
التي كانوا يفسرونها على أساس حسن النوايا. غير أن شيئاً من الشعور بالخطر الطائفي
بدأ يتسلل إلى نفوسهم بعد أحداث (1991)، وما يسمونه بالانتفاضة الشعبانية التي
عمل الشيعة فيها بأهل السنة في الجنوب ما عملوا من القتل والتهجير والترويع للعوائل
والشخصيات السنية.
واستمر أهل السنة في غفلتهم، وسطحية نظرهم إلى الشيعة وحقيقة خطرهم إلى ما
بعد الاحتلال!

٩ من مهازل المفارقات

من مهازل مفارقات السذاجة السنية، وغيوبة الوعي السني عن المشكلة الحقيقية في
البلد، أن أول تشكيل للجمعية الوطنية بعد الاحتلال كان عدد المرشحين لها من الشيعة
في محافظة صلاح الدين (تكرت) - التي لا يمثل الشيعة فيها إلا نسبة بمحدود 5٪ - كان
(14) من مجموع (16)! حدثني بذلك الأخ الشهيد أياد العزي رحمه الله، يقول: ولما
استفسرت عن هذه المفارقة الغريبة من المسؤولين من أهل السنة في المحافظة؟ كان
جوابهم: الشيعة إخواننا، ولا فرق بيننا، ونحن أهل السنة لا نؤمن بالطائفية! وما زالت
هذه المفارقة الخائبة مستمرة إلى اليوم. فالأعضاء السنة في مجلس محافظة صلاح الدين لا
تتجاوز نسبتهم الخمس في محافظة تشكل نسبتهم العددية فيها أكثر من 90٪!..
وفي حي الجامعة السني في بغداد، لم يحصل الشيعة على مقاعد لهم في المجلس البلدي
للحي في بداية الاحتلال نتيجة عددهم الضئيل، فقام أحدهم في اجتماع المجلس يتظلم
ويتهم أهل السنة بالتزوير وغمط حق الشيعة. فكان رد الحضور السنة - وعلى لسان
شيخ المسجد - أن تبرعوا للشيعة بنصف مقاعد المجلس، رغم أنهم لم يكونوا يشكلون
نسبة تذكر في الحي المذكور!

ذهبت في يوم من أيام سنة (2003) إلى مديرية أوقاف الأنبار، وكان مديرها صديقاً لي. فحدثني يقول: جاءني قبل مدة أحد شيوخ العشائر مستبشراً يخبره بأن اثنين من علماء الشيعة جاء إليه يريدان أن يساعدهما في أن يخطب كل منهما خطبة جمعة في أحد مساجد الأنبار الكبيرة - وليكن أحدهما مسجد الدولة، والآخر مسجد الأنبار الكبير - عن الأخوة بين السنة والشيعة. فقلت له: لا بد من التعرف عليهما قبل الموافقة على طلبهما. يقول المدير: وعمل لنا أحد التجار وليمة كبيرة في بغداد حضرها جمع من العلماء والأساتذة من أهل السنة تكريماً لذيнок الشيخين الشيعيين. قلت لهما: ماذا تمثلان في قومكما؟ أما أحدهما فقال: أنا ضامن لمن ورائي من أهل كربلاء، وقال الآخر: وأنا ضامن لأهل النجف. قلت: إذا كان الأمر كذلك فنريد منك أن تعينونا في إرجاع مساجدنا المغتصبة. فقال أحدهما: بشرط أن لا تكون المساجد مساجد وهابية. وحصل أخذ ورد، تبين لنا من خلاله المقاصد السيئة، التي كانا يبيتانها من وراء سعيهم. ورفضت الموافقة على الطلب.

أثناء الكلام كان صديقي المدير قد ذكر اسم الرجلين. قلت: أما فلان فشباب أسمر متوسط القامة، وأما الآخر الذي تلقبه بـ(الدكتور) فطويل فارغ الطول، وأكبر من الأول عمراً؟ قال: صحيح! فضحكت وأنا أقول: أما (الدكتور) فرجل (دايح) بكل ما تعني كلمة (دايح) من معنى! يسكن حي الشعب، ويتردد على المحمودية كثيراً، ولا شغل له إلا الوقوف على أبواب المحال يستعطي أصحابها قطعة نقود، أو سيجارة، أو لفافة طعام. ومع هذا الهوان فهو مستكبر يقدم يده أولاً يأمر صاحب المحل بتقبيلها وهو يقول: هذه يد يجري فيها دم رسول الله! يدعي أنه يحمل شهادة دكتوراه من الأزهر. بينما هو في حقيقته نائب ضابط هارب من الخدمة العسكرية. وكان يحرص شيعة المحمودية على قتلي، بفتوى من الحوزة، ويعيرهم لعدم قيامهم بذلك.

وأما صاحبه فمثله (صايح ضايح)، وهو ليس أكثر من (مطيرجي). وقد ألقى عليه القبض عضواً في عصابة لاغتيال واغتياال الشيخ حسون وضابط أمن دليمي اسمه (مفيد). لكنه أفرج عنه بعد العفو العام الذي أصدره الرئيس صدام قبيل الحرب بقليل. وأخوه أحد الشخصين اللذين قاما بالاعتداء عليّ في وسط جامع المحمودية الكبير في

محاولة اغتيال - كما استتجنا من بعض القرائن - باءت بالفشل! وهما من عائلة إيرانية معروفة، ينتسب أفرادها زوراً إلى أكثر من قبيلة عربية! هؤلاء هم دعاة الأخوة والتقارب من الشيعة! ما رأيك؟! وفوجئت بأحد الجالسين في الإدارة - وأظنه أحد الموظفين - يقول: وما في ذلك؟ يا أخي نريد أن نلم شمل المسلمين. قلت: سبحان الله! وبأمثال هؤلاء تريدون لم الشمل!!! لكن الرجل ظل يجادل مصراً على رأيه، فلم أجد حيلة إلا أن ألوذ بالصمت، وأعرض عن أحق كهذا، وما أكثرهم! لا أكثرهم الله، ولا بارك فيهم.

q دار السيد مامونة

انظر إلى غفلة أهل السنة! ووعي الشيعة. في تلك الفترة ذهب بعض أصدقائي من أفراد الحزب الإسلامي - كما أخبرني أحدهم وهو من أهل اللطيفية - إلى النجف يعلقون ملصقات ولافتات جدارية تدعو إلى التقارب وتعميق مفاهيم الأخوة بين أهل السنة والشيعة. يقول: وبينما نحن نفعل ذلك جاءنا بعض الرجال وأمارات الشر بادية على وجوههم. تظاهروا بأننا شيعة وأجبناهم على سؤالهم بأننا نطبق أوامر المرجعية في التقارب بين طوائف المسلمين. فصاروا يهزأون من ضعف عقولنا ويقولون: اذهبوا فعلقوا لافتاتكم هذه في مناطق أهل السنة، وإياكم أن تفعلوها مرة أخرى في مناطقنا. هذا ما كان عليه أهل السنة من موقف تجاه شركائهم الشيعة في بداية الاحتلال. لقد كانوا ينظرون للأحداث بكل طيبة وسداجة. ولم يكن يخطر ببالهم أنهم كانوا واهمين إلى أبعد حدود الوهم! أما القلة التي كانت تدرك حجم الخطر، فقد ضاعت أصواتهم وسط الضجيج.

q استخدام الغطاء الحكومي

استخدمت الحركات الشيعية لأعمالها الكيدية غطاءً حكومياً، من خلال الانخراط في مؤسسات الدولة: الحزبية والأمنية والعسكرية، وغيرها، والتأثير على أصحاب القرار في هذه الأجهزة. فكانت الجرائم تلقى تبعاتها على الدولة، وأما النتائج فكان يحصدها المخططون. وهي خطة قديمة اتبعها الفرس، منذ أن استدرجوا الحسين بن علي رضي الله

عنهما، وقتلوه بيد جهاز الدولة. وكذلك فعلوا بكثير من الشخصيات العلوية وغير العلوية في ما تلا من عهود وأنظمة. واستمرت الحال على ما هي عليه، وإلى اليوم. اتخذ العمل الشيعي ضد أهل السنة في ذلك الوقت عدة اتجاهات. منها عمليات التهديد والمضايقات الأمنية، وممارسة القتل والاغتيال للشخصيات السننية العاملة في الجنوب، من الدعاة، والمشايخ، وكذلك العوام الذين يراد ترويعهم.

٩ فتاوى العلماء

وقد صدرت في هذا الصدد فتاوى كثيرة أبرزها فتاوى مرجع التيار الصدري الحالي الإيراني كاظم الخائري. تتضمن هذه الفتاوى إباحة دم كل من يمكن أن ينسب إلى النظام السابق، مع إباحة الخسائر البشرية غير المقصودة، كتفجير حافلة كاملة لوجود شخص من أتباع النظام بينهم وهكذا! كما تضمنت التبرؤ من الأشخاص المتحولين (ويقصد بهم الذين تركوا التشيع وصاروا سنة)، وتطليق نسائهم، وإباحة دمائهم على أنهم نواصب، والإيعاز لعشائهم وعوائلهم بوجوب التبرؤ منهم. ومن الفتاوى ما كان يوجه تحت لافتة (الوهابيين والنواصب والمخالفين) وغيرها من المصطلحات التي يراد بها أهل السنة.

عملت هذه الفتاوى عملها على عزل الصفوف، وتهيئة النفوس للمواجهة وإباحة الدماء والأموال وإقصاء أهل السنة، وتهجيرهم من أرضهم. التي رضوا بكل سذاجة أن يشاركهم فيها (إخوانهم) الوافدون من الجنوب. دون أن يكون لديهم أدنى تحسس، أو استشعار بأن ما يجري إنما يجري ضمن خطة مدروسة مسبقة.

٩ الدعايات

ثم كانت الدعايات التي تستهدف أهل السنة، ونشر مظاهر وشعارات التشيع. مستغلين بعض الفرص مثل سماح الحكومة لهم بإقامة الشعائر الحسينية على أن لا تهدد كيانها. وما كان يحصل من مصادمات مع الحكومة بين أوان وآخر، فإثما بسبب التهديد أو الاستفزاز الشيعي.

أولى الدعايات التي كانوا ينشرونها هي أن أهل السنة أقلية تغتصب الحكم في العراق. كان البلد يتعرض إلى تهديدات أمريكية فكانت هناك إشاعات ذات أبعاد مختلفة أهمها ذات البعد الانتقامي الداعي إلى تفويض البلد بحجة المظلومية وبها استبيحت أموال وأسرار الدولة مما أدى إلى فشل جميع التدابير الأمنية الحكومية لحماية المنشآت الحيوية، إضافة إلى التهديدات التي كانت تطال أفراداً عاملين في أجهزة الدولة. ومن الدعايات الشيعية التي انتشرت قبيل الغزو الأمريكي: إن الكافر العادل خير من المسلم الجائر. وهي الدعاية نفسها التي نشرها علماء الشيعة قبيل الغزو المغولي لبغداد، كما تروي كتب التاريخ!

ومنها اتهام كل سني في المناطق الجنوبية، وملاحقته بتهمة (الوهابية). وقد عانى إخواننا هناك الأمرين من هذه التهمة التي تجدها لها قبولاً عند المؤسسة الدينية الرسمية، والمؤسسة الأمنية. كما كان يضيق عليهم في أرزاقهم بسبب هذه التهمة من قبل المجتمع الشيعي، فلا يكاد السني يجد له عملاً في تلك الأوساط. وكنا نرى إخواننا في الديوانية والسماوة والناصرية وغيرها من المحافظات الشيعية، فنجد من عسر الحال وضيق ذات اليد، والحصار الاقتصادي والاجتماعي ضدهم ما الله به عليم! ومنها اتهام كل شيخ سني في الجنوب بأنه موظف أمن لدى الدولة. والظريف أنهم يطلقون عليه رتبة (عقيد مخبرات)، مهما كان عمره، شاباً صغيراً، أم شيخاً كبيراً، ومن اليوم الأول لمجيئه! هذا مع وصمه بـ(الوهابي)!!! وكثيراً ما كنت أسخر من عقولهم وأقول: كيف أكون عقيد مخبرات ووهابياً في وقت واحد؟!

q اغتصاب بعض المساجد ، وعمليات اغتيال متفرقة

قامت مجاميع شيعية باحتلال ثلاثة مساجد لأهل السنة في بغداد، منها جامع الرشاد في منطقة الثورة. وحصلت عمليات اغتيال ضد الدعاة من أهل السنة. كما أُلقيت قنبلة يدوية على بيت أحد مشايخ أهل السنة في منطقة الكمالية شمالي شرقي بغداد تسببت في جرحه وقتل ابنه. وكانت تقع بين حين وآخر عمليات اغتيال للمسؤولين، والشخصيات المؤثرة، وتفجيرات هنا وهناك. وكان يتولى كبرها بالدرجة الأولى حزب الدعوة العميل،

ومنظمة بدر التابعة لمجلس آل الحكيم، الذي أسسته المخابرات الإيرانية أثناء حربها علينا في بداية الثمانينيات.

٩ إثارة التوجس والخوف المتبادل بين الدولة وأهل السنة

بسبب التوغل الشديد للشيعة في قواعد حزب البعث الحاكم والمؤسسات الأمنية، فقد تمكنوا من إثارة صراعات مفتعلة بين هذه الأجهزة وأهل السنة، عن طريق ضخ معلومات خاطئة عنهم، وتصويرهم على أنهم يهددون كيان الدولة وأمنها. أدى ذلك إلى العديد من الإجراءات الأمنية، منها الرقابة الشديدة على المشايخ والعلماء والدعاة. ومنع العديد من الخطباء من أداء الخطب أو اعتقالهم والتكيل بهم. بل تعدتهم هذه الإجراءات إلى التجار وأصحاب رؤوس الأموال. وقد اتخذت أحياناً شكلاً دموياً عنيفاً. فقد أعدم في ذلك العهد الكثير من التجار السنة نتيجة نشاطهم في الأعمال الخيرية والإنسانية. كما قامت أجهزة الدولة بعدة حملات اعتقال واسعة على المصلين السنة في جميع أنحاء العراق. وكانت الحجة المتكررة تهمة (الوهايية).

استغل الشيعة كثيراً من ضباط الأمن والمخابرات السنة، من ذوي التفكير النمطي الجامد. وغالبهم يتحدرون من المناطق الغربية التي يشيع فيها الخلاف التقليدي بين التصوف والسلفية. وعادة ما يكون المسؤول ذا نفس صوفي. والذي لمسناه أن هذا المسؤول يستصحب معه هذا النفس حتى في المناطق الشيعية، التي لا يشكل فيها أهل السنة نسبة مؤثرة، مثل الديوانية والنجف وكربلاء. في أحد لقاءات كبار مسؤولي الدولة في الديوانية مع شيوخ الدين - ومنهم سنة - كان الحديث منصباً على التحذير من (الوهايين) وخطرهم. وهو السبب الذي من أجله كان اللقاء! فقال أحد المشايخ موجهاً خطابه للمسؤول الذي كان يتحدث ويحذر: "يا سيادة المحافظ! كم هو عدد جميع الشباب السنة في مركز المحافظة؟ مائة؟ لا أظنه يزيدون على ذلك. فلو افترضنا أن هؤلاء جميعاً وهايية، ما هو حجم الخطر الذي يشكلونه؟! الخطر يا سيدي هو خطر إيران والتنظيمات المرتبطة بها، وليس هو ما تحذر منه. وأنا أتهم كل من غرض الطرف عن هذا الخطر، ورفع صوته بالتحذير هنا من (الوهايية) بأنه يريد إشغال الدولة بخطر وهمي على حساب الخطر الحقيقي الواقعي". علماً أن المسؤول كان سنياً!

وهكذا راحت تحذيراتنا من الخطر الحقيقي - وهو الشعوية - أدراج الرياح؛ بسبب من غفلة المسؤولين وسذاجتهم، وجمود تفكيرهم، واهتمام الكثيرين منهم بمصالحهم الشخصية، التي تفرض عليهم مسايرة اللوبي الشعبي رغبة ورهبة.

q الوشاية الكبرى

وكانت الوشاية الكبرى، والجريمة العظمى هي سعي الشيعة - ممثلين بمؤسساتهم التنظيمية، وشخصياتهم المؤثرة - لدى دوائر القرار الغربية من أجل غزو العراق تحت ذريعة الإطاحة بالنظام. متحججين لشرعنة هذه الجريمة بشتى الحجج. مثل أسلحة الدمار الشامل، تهديد دول الجوار، المقابر الجماعية، دعوى الأغلبية المضطهدة... إلخ. وكان مركز التآمر والتخطيط إيران، وكيان إسرائيل.

q استشراف الحدث

إذا أردت أن تعرف أي أمة أو طائفة، اقرأ عقيدتها، وقلّب صفحات تاريخها. أما واقعها فيكفيك منه الإشارات.

على هذه القاعدة سرت في خطبي ومحاضراتي، التي مثلت في حينها ما يمكن أن أطلق عليها (مشروع إنذار) من الخطر الإيراني أو الشيعي القادم، الذي بدأته قبل الاحتلال ببضع سنين. حتى إنني كتبت كتابي (لا بد من لعن الظلام) سنة (2002) اخترت لمؤلفه اسماً مستعاراً هو (نذير عريان البابلي)، وذلك قبل أن أقوم بنشره بالاسم الصريح في بغداد سنة (2005) عندما انتهت مرحلة الإنذار، وبدأت مرحلة الأخطار. كانت الغالبية العظمى من أهل السنة يستغربون كلامي، ويعترضون على ما أقول، معتبرين إياه ضرباً من الخيال، دافعه التطرف. وقد سبب لي ذلك إشكالات كثيرة، كان آخرها إنهاء تكليفي بالخطابة، وإحالي إلى المحكمة. ولم يغلّق ملف القضية إلا بالعمو العام الذي أصدره الرئيس صدام حسين في وقتها، وذلك قبيل قيام الحرب - التي انتهت باحتلال العراق - بحوالي ستة شهور.

أما أنا.. فقد كنت أذكر للناس من عقائد الشيعة الخطيرة ، ومن أفعالهم العدوانية المتكررة على مدى التاريخ ما يؤيد كلامي، ويثبت أحقية وجهة نظري في التحذير من الخطر القادم. وقد أثبتت الأحداث ما قلته تماماً، بحيث صار الجميع يردد ويقول: (صدق فلان.. صدق فلان)!

ولكن.. هيهات! هيهات! لقد فات الأوان..!

اقرأ عقيدة الشيعة في (الإمامة)، وما سطره علماءهم من فتاوى طبقاً لها، يستحلون بها دماءنا وأموالنا وأعراضنا، والاستنصار بالأجنبي الكافر علينا. وإذا شئت أن تزيد عليها عقيدتهم في مهديهم الموهوم، وكيف يضع السيف في رقاب العرب حتى يذبحهم ذبح الخراف، ويجتثهم فلا يبقى منهم أحداً يستطيع الوصول إليه! وراجع تاريخهم مع دولة الإسلام تجد مصداق ما قلته، وتراه رأي العين.

فما حصل من العدوان الشيعي أمر متوقع تمام التوقع، لم يكن في وقوعه - وذلك قبل أن يقع - من شك، لكل من عرف عقائد الشيعة، وقرأ تاريخهم. وليس هو شيئاً قلناه بمعرفة رجعية، تأتي وراء الحدث، ولا تسبقه.

٩ من دفتر المنكرات

وعدت إلى دفتر مذكراتي لأجدني كتبت فيه ما يلي:

(وتأجل الاجتماع هذه الثلاثاء لاشتداد الأزمة بين العراق وأمريكا واحتمال قيامها بضرب العراق بالصواريخ بعيدة المدى وحدث أمور لا تحمد عقبها منها حرب أهلية تُعدّها القوى الغربية، وإيران التي تتظاهر بعدم موافقتها على ضرب العراق 1998/2/5).

(أمريكا والعراق والجنوب. الوضع الحالي خطر جداً.. العراق يرفض السماح للمفتشين الدوليين بدخول القصور الرئاسية؛ على اعتبار أن ذلك يخل بالسيادة وأمريكا - ومعها بريطانيا - تصر على دخولها، وإلا فهي تهدد بضربنا بالصواريخ وقصفنا بالطائرات!!

وأخطر ما في الأمر تحرك الشيعة في الجنوب، والمناطق الشيعية الأخرى، أو التي يكثر فيها الشيعة. فإنهم يتمنون (الضربة)، ويعدون لحركة غوغائية جديدة (انتقاماً من السنة)

- كما يقولون - وإيران في حركة مستمرة تحضيراً لذلك. وعلى سبيل المثال فإن المدعو محمد باقر (الحكيم) قد أعد فيلقاً من شذاذ الآفاق اسمه فيلق بدر، وهو يعد العدة لدخول العراق باسم الجهاد ونصرة أهل البيت. ورفسنجاني الرئيس الإيراني السابق في زيارة للسعودية لمدة عشرة أيام. والأخطر من ذلك كله احتمالية تقسيم العراق - لا سمح الله - إلى دويلات ثلاث.

الأمين العام للأمم المتحدة (كوفي أنان) في العراق منذ ثلاثة أيام لإجراء مفاوضات من أجل الخروج بحل دبلوماسي للأزمة، وآخر الأخبار مشجعة. والحمد لله 23/2/1998).

(انفراج الأزمة. محمد الله تعالى أن الأزمة انفجرت قبل أيام قليلة باتفاق العراق مع الأمم المتحدة بعد مجيء الأمين العام لها كوفي عنان إلى العراق على الموافقة على السماح لمفتشي الأمم المتحدة بتفتيش القصور مع إضافة فقرة مرافقة دبلوماسيين دوليين للمفتشين ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾

حدثني أحد شيوخ المساجد في السماوة : إن بعضاً من الذين كانوا يتمنون الضربة من الشيعة بكوا حين حصول الاتفاق. وقال لي آخر من بغداد: إن بعضاً من هؤلاء من شدة التأثر أصيبوا بالإسهال! والله في خلقه شؤون!! 28/2/1998 السبت).

q قضيتنا عادلة.. لكن الخشية من المحامين الفاشلين

بعد هذه المقدمات التحليلية، أنتقل إلى تقييد بعض الحوادث الأولى للاعتداء الشيعي على أهل السنة، ولا أسجل إلا ما كان منها ضمن السنة الأولى للاحتلال فقط أي سنة (2003). وقد سبقت الحوادث الأولى لهذه الاعتداءات ردة الفعل السني بفترة قياسية طويلة، إذا أخذنا بنظر الاعتبار الطبيعة الزمانية للفعل وردة الفعل، وظروف الاحتلال، والأزمة التي يمر بها العراق على جميع النواحي: النفسية والفكرية والاجتماعية وغيرها. وعندها سنجد أن تأخر رد الفعل بضعة شهور يعتبر فترة طويلة، وكافية لإثبات حسن نوايا أهل السنة تجاه الشيعة، وأنهم لم يكونوا يبيتون أي قصد اعتداء مسبق. وأن ما حصل منهم من أذى تجاه الشيعة إنما كان ردة فعل دفاعاً عن النفس والدين والوطن.

وفي نطاق قوله تعالى: (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَثَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (البقرة:194).

وفي هذه المناسبة ألفت نظر القارئ إلى الفرق الهائل بين حجم ردة الفعل الشيعية على تفجير مرقد سامراء، وردود الأفعال السننية تجاه العدوان الشيعي. فإنه يعطي دلالة واضحة على أن الفعل السنني كان يخضع حقاً لقانون الفعل ورد الفعل. بينما الفعل الشيعي كان أمراً مبيتاً ومخططاً له، وما حصل إنما كان ذريعة لما أراد له المخططون أن يحصل من بعد. علماً أن التفجير قامت به الحكومة الشيعية، وبدفع من إيران، والأمريكان، وتحت إشرافهم وتدبيرهم، كما دلت كل الدلائل الموضوعية على ذلك. وبسط هذا له موضع آخر. وقد تحدثت عنه في كتابي (غربان الخراب في وادي الرافدين). بعض هذه الحوادث رصدتها وقيدتها بنفسي. وبعضها قام بمتابعتها وتقييدها آخرون كلفتهم بذلك. على أن ما سأعرضه لا يمثل إلا نماذج هي حصيلة جهود فردية، في ظروف أمنية قاسية. والموضوع على درجة من الأهمية القصوى، بحيث يحتاج إلى جهود مؤسسات تسجل الحوادث بالوثائق من مصادرها الأصلية. ولكن حسبي وعذري أنني قمت بفعل ما أقدر عليه، خدمة لديني وتاريخ أممي، وأداء لحق الأجيال الآتية، التي ستأتي بعد وقوع الحدث، وغيابه عن ساحة وقوعه. وهذه هي إشكالية التاريخ. عندها سينتقل إلى بطون الكتب، ويكتب حسب درجة أمانة الناقل، ودقته، ورغبته. وإذا استحضرت أن الشيعة أكبر مزوري التاريخ في التاريخ، وأنهم بارعون غاية البراعة في الإعلام والدعاية والإشاعة، وأنهم هم الذين يكتبون التاريخ، رغم أن غيرهم هو الذي يصنعه، وأن أهل السنة - وإن كتبوا - لا يحسنون العرض والإعلام.. أدركت أي خديعة تاريخية نعيشها! وأي أساطير نقرأها، ونقوم بنشرها!

الذي أتوقعه جازماً أن الشيعة سيكتبون أن أهل السنة هم الذين بدأوهم بالاعتداء أول مرة، وأن كل ما اقترفوه هم من جرائم وعدوان تضح منه السماء قبل الأرض إنما هو ردة فعل على ما ارتكبه السنة بحقهم. هكذا سيكتبون، ويشكون ويولولون ويتمظلون.

ليس هذا هو المهم.

أهل السنة أصحاب حياة، وذوو نفوس كبيرة، وطبيعة قيادية تعودوا عليها منذ القدم. كل هذا يجعلهم يرفعون عن مجارة ذوي النفوس الصغيرة المنكسرة، التي تعودت الانقياد والتبعية طيلة تاريخها، وأخذ المراد بالتمسكن والتظلم؛ فيتعاملون مع هؤلاء كما يتعامل الكبير من ذوي العزة والشمم مع الصغير أو الضعيف، ويتسامحون معهم؛ فلا يردون عليهم أقوالهم ودعاوهم، رغم علمهم بيطلانها.

وأنا حين أقول هذا القول، إنما أقوله مفسراً لا مؤيداً. إن التسامح إنما يجوز تنازلاً عن حق شخصي. أما التسامح في حقوق الآخرين، أو حق الأمة فحرام حرام. نعم هذه في أساسها مكارم أخلاق العرب. ولكنها تحتاج إلى تهذيب وتميم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وإلا خسرتنا كثيراً، ودفعنا الثمن غالياً. وحين يضطر الإنسان إلى العيش في حجرة سجيناً مع حيوان متوحش، لا يمكن أن يتعامل مع هذا الحيوان في بعض المواقف المفروضة بالأخلاق العليا للبشر. لا بد أن يتنزل فيحتمي إزاء الطعام من هجمته، ليأخذ حصته، ويعطيه بعضه. وإلا مات جوعاً. ماذا نفعل وقد أجبرنا على العيش مع فصيلة من البشر لا تقبل الشركة أبداً، ولا يرضيها إلا اختطاف الإناء كاملاً؟!!

لا أنكر أن البعض من أهل السنة يجاري الكذبة في كذبهم خوفاً وتملقاً، متظاهراً بالعفو والسماحة، وما هو بعفو ولا سمح. وبعضهم يتجاوز أكثر وأكثر، ليجلد نفسه، ويتهم أهل السنة بأنهم هم المعتدون! تذلل وخسة. وهنا تحضرنى هذه القصة: في يوم من الأيام حين كنا صغاراً في المدرسة الابتدائية، اشتبك طالبان في عراق، وكان لأحدهما أخ ظل يراقب المعركة دون أن يتدخل لصالح أخيه. وحين سمع القصة والده استدعاه قائلاً: لماذا لم تنصر أخاك؟ فكان جوابه: "والله يابا هو (العايل)!" يقصد أن أخاه كان هو المعتدي.

هذا هو الأهم.. هو الأخطر! إن بعضاً من أهل السنة - فضلاً عن غفلتهم وتقصيرهم في بيان الحقيقة لأجيال الأمة اللاحقة - سيقف موقف الدفاع، طالباً من الآخر نسيان ما مضى، قائلاً: (عفا الله عما سلف)! وهذا يعني لزوماً أن المتكلم هو المعتدي. فإنه لا يقف هذا الموقف إلا من كان كذلك. وقد بانث (تبشير) هذا الخذلان على الأفق، ومن شخصيات إسلاموية عربية معروفة. بل إن بعض المخدولين من أهل السنة في العراق عادت إليهم لوثنهم القديمة! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها القوم..! قضيتنا عادلة عادلة. ولكن الخشية - كل الخشية - من المحامين الفاشلين.